تنظيرات ومقارنات حول :

فصحى العامية في المغرب والأندلس

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

سبق ان نشرنا دراسة واسعة عن « الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية » منظرين بين فصحى العاميات فى كثير من الاقاليم والاقطار العربية (سوريا ـ لبنان ـ مصر ـ الخليج العربي) وقد ركزنا خاصة على المقارنة بين اللهجة الدارجة فى المغرب واللغة الفصيحة وضربنا مآت الامثلة للدلالة على **اصالة عاميتنا** وقد عثرنا فى كتب اللغة القديمة بعد صدور ذلك البحث على عدد كبير من المفردات التي حرفتها العامية تحريفا يسيرا والتي ترجع الى صلب الفصحى وبعضها بائد من اعماق اللسان الجاهلي الذي عدل عن استعماله فى العصر الحاضر وزدنا تركيزا لهذه الفكرة بضرب مثل حي باللهجة الرائجة فى ناحية زعير الواقعة على ابواب عاصمة الرباط مما يدل على ان **الدخيل فى العامية المغربية كان قليلا** اذا استثنينا مجموعات ضئيلة انتقلت عن طريق الفصحى من الفارسية وفى العهود الاخيرة من الاسبانية والفرنسية وقد قمنا بمحاولة جريئة استهدفنا بها **استخلاص بعض القواعد التي درجت عليها اللهجة العامية المغربية فى جولاتها** قياسا على الفصحى وعلى بعض العاميات فى البلاد العربية وبالاخص سوريا واذا استعرضنا **المفردات الاندلسية** التي وصلت الينا محرفة عن اصلها العربي وجدناها **اقرب فى بنيتها وشكلها من دارجة المغرب** فالدخيل فيها قليل وقد تحدث الاستاذ الكبير كرد علي عن «عجائب اللهجات»(1) فقال : (لعل الدخيل كان نادرا فى ارض الاندلس لان الامويين توخوا الوحدة فى كل شيء) الى ان قال : « وكانت اللهجة الاندلسية من اجمل اللهجات نقلها اهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام **ولعلها كانت اقربها من الفصحى** اشبه بلهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت الفاظا فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام » .

ونريد ان نقصر اليوم تنظيراتنا على لهجتي المغرب والاندلس لنلمس من خلال هذه المقارنات كيف **ان لهجة المغرب كانت اقرب الى الفصحى** منذ القرن الرابع الهجري وسيكون مصدر بحثنا كتاب « لحن العوام » للعلامة اللغوي الكبير ابى بكر محمد بن حسن ابن مذحج الزبيدي (316 هـ ـ 379 هـ) وقد صدر هذا الكتاب (عام 1964) فى سلسلة كتب « لحن العامة» باشراف الدكتور رمضان عبد التواب استاذ الآداب بجامعة عين شمس .

والزبيدي هذا اشبيلي اندلسي اصله من حمص الشام وهو من تلامذة ابي علي القالي البغدادي فى اللغة والشعر روى عنه كثيرا فى كتابه « لحن العوام » ومن تلامذة الزبيدي اسماعيل بن سيده والد علي ابن سيده المشهور صاحب « المخصص » وقد وصف الزبيدي فى كل من « طبقات ابن شهبة (2 / 37) والوافي بالوفيات (3 / 251) بانه « شيخ اللغة

1) مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 128 عام 1953 .

والعربية بالاندلس » كما لقبه الفتح بن خاقان (2) بامام اللغة والاعراب وابن خلكان (3) ب « أوحد عصره فى علم النحو وحفظ اللغة » وهو ايضا فى نظر الثعالبي (4) « احفظ اهل زمانه للاعراب والفقه واللغة والمعانـــي والنوادر » وقد لخص المقري هـــذه الانظار كلهـــا بقوله (5) : « هو فى المغرب بمنزلـــة ابن دريـــد فى المشـــرق » .

وقد كتب الكثير فى اخطـــاء العوام والخـــواص ونجتزىء الآن بذكر اربعة كتب مخطوطة فى دار الكتب المصرية منها :

1) درة الغواص فى اوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (516 هـ) مع تكملتهـــا لابى منصـــور الجواليقي (540 هـ) .

2) رسالة فى اغلاط العوام للسيوطي (911هـ) مرتبة على حروف المعجم .

3) التنبيه على غلط الجاهل والنبيـــه لابن كمال باشا احمد بن سليمان (940 هـ) (معجم رقـم 348 لغة) .

4) « تقويم اللسان » لابن الجوزي (597 هـ) وقد نشرنا قسما منه فى العدد الاخيـــر من مجلـــة « اللسان العربي » وصدر كاملا باشـــراف المجمـــع العلمي العربي ببغداد كما سبق ان نشـــرت مجلتنـــا « اللسان العربي » (العدد الثاني) دراســـة حـــول العامية فى « المغرب والاندلس » استعرضت المصنفات المغربية فى هذا المجال « كانشاد الضوال وارشـــاد السؤال » (6) ويتضح من مائة مثال اوردها الزبيدي فى كتابه بالنسبة للقرن الرابع الذي هو العصر الفني فى حقب تطور اللغة العربية ـ ان الكثير من الفـــاظ العامية المغربية اقرب الى اللسان الفصيح ـ بنيـــة وشكلا ـ من الدارجة الاندلسية :

وهاكم هذه الامثلة :

1) بزيم للحديدة التي تكون فى طرف حـــزام السرج او المنطقة .. والصواب ابزيم (ص 15) .

2) دشيش .. والصواب جشيش (20) .

3) يقولون لواحد الذبان ذبانة .. والصواب ذبـــاب (31) .

4) يقولون للنبت الكثير الشوك المنبســـط بالارض خرشف .. والصواب حرشف (ص 37) .

5) يقولون لشجر يكون فى الجبال عرعار .. والصواب عرعر (ص 48) .

6) يقولون حنن يده .. والصواب حنا يديه (ص 52) وهو المستعمل عندنا بالمغرب الاقصى وبذلك يكون المغرب هنا اقرب الى الفصحى من الاندلس .

7) ويقولون للنبت الذي يصبغ به الثياب فوة (بالفتح) .. والصواب فوة (بالضم) (ص 63) (مثـل المغـــرب) .

8) قرنفل بضم الراء .. والصواب قرنفـــل (بالفتح) (ص 64) .

9) يقولون فلان مدهول .. والصواب ذاهل (ص 65) وهو المستعمل بالمغرب .

10) ويقولون لواحد الكلى كلوة .. والصواب كليـــة (ص 67) .

11) ويقولون للظرف الذى يوضع فيه افواه العطر واصناف الحلي حكة .. والصواب حق (ص 68) (حك بالمغرب) .

12) ويقولون مقداف السفينة .. والصواب المجداف (ص 69) .

13) ويقولون حلفة للنبت الذي يتخذ منـــه الحبال .. والصواب حلفة (بالتحريك) (ص 70) .

14) ويقولون للاناء المتخذ من الصفر سطل .. والصواب سيطل (ص 75) .

15) ويقولون للحديدة التي يقطع بها ويحلـــق موس ويعودون فيجمعونها امواســـا .. والصـــواب موسى (ص 78) .

---

2) مطمح الانفس 53 / 23 .
3) وفيات الاعيان 1 / 514 .
4) يتيمة الدهر 1 / 409 .
5) نفح الطيب 5 / 24 .
6) سماه السيوطي فى بغية الوعاة ص 82 بلحن العـــامـــة .